تَرى للناس دنيا معهم ودينهم • شغلا بذي كل بادية وتيهاء
وصار يحسدني من كنت احسده • ومن مولى الورى فقد مولاه

وترجع اي العلامة الشيخ رحمه الله وجه قوله اثر ابتداء الانس يحتمل ان يكون
ابتدا امر الابتداء بمعنى الافتتاح كما في حديث البسملة كل امر ذي بال لا يبتدا فيه ببسم
الله فيكون كقولك ابتدأت زيدا بالكلام او بالسلام مثلا وعلى هذا فالباء في قوله
بنعمته للتعدية ولتوقف المعنى على المجرور اذ لو قلت ابتدأت زيدا لم يتم معنى الكلام
الا بذكر المعمول الثاني والعامل لا يتعدى اليه بنفسه فجيء بالباء المعدية في الثاني مع
بالعوض والمعنى ان مولانا سبحانه انعم على الانس بالنعم قبل ان يستحقها بصالح
الاعمال وانه ابتداه بالنوال قبل السؤال وان اول شيء برز له من مولاه ان انعم عليه
بالنعم من غير عوض لذلك بل على سبيل الكرم والافضال وفي الدعاء عنه النبي صلى الله
عليه وسلم يا مبتديا بالنعم قبل استحقاقها وفي حزب الشاذلي رضي الله عنه
وقد اعطيتنا الايمان من قبل ان نسألك وفي الحكم عنايته فيك لا لشيء منك واين كنت
حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال
بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال وقيل

فلا عمل مني اليك اكتسبته • سوى محض فضل لا بشيء يعلل

ويحتمل وهو الظاهر ان يكون ابتدا بمعنى بدأ وبدا هو الوارد في القرآن
كما بدأكم تعودون وبدأ وابدأ الخلق وهو اخترع فتقول ربه او منشئه وعلى
هذا الاحتمال فالباء يحتمل ان تكون للمصاحبة ويحتمل ان تكون للالصاق
والمعنى ان النعم ملتصقة به وهذا ابلغ من المصاحبة لان الالصاق يقتضي
اللزوم بخلاف المصاحبة فالمعنى ان النعم ملازمة له لا تفارقه ويحتمل السببية
اي بسبب ان انعم عليه قال الشيخ زروق بعد ذكر احتمال السببية
والمصاحبة وقد تكون هنا بمعنى مع فيكون التقدير ابتدأ الانس بسبب نعمته
حالة كونه مصحوبا بها اذ لولا انعام الله عليه بالايجاد ما كان موجودا ولولا
مصاحبة النعمة له لانقطع وجوده بعد الايجاد وقوله الانس الظاهر ان ال

مسم

فتشبيه حاضر زمانه من ان التذكير بالنعم
من اعظم ما يرد العبد الى مولاه اذ ما
ذلك في من اهل النفوس الكريمة
واما النفوس اللئيمة فلا تنقاد الا
بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب من
الاقوال والابدان قال الشيخ ابو
مدين رضي الله عنه سبحانه عز وجل
استدعى العباد لعبادته بسعة الا
رزاق ودوام المعافات ليرجعوا اليه
بنعمته فاذا لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء
والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز
وجل رجوع العبد اليه طوعا او كرها
والى هذا اشار في الحكم بقوله من لم يقبل
على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه
بسلاسل الامتحان فالنعم والنقم جندان
من جنود الله تعالى يحوش بهما عباده
اليه ومن كتب عليه الشقاء
والضلالة لا ينقاد الى الله على كل
حال ولو رأى والعياذ بالله نسأل الله
بمنه ولطفه

وفي الحكم ايضا ان البلاء هو الاحسن
من قبل توجه العابدين وارث
الجواد بالعطايا من قبل طلب
الطالبين وارث الوهاب ثم ارث.
كما ومعنى من المستغني صح

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

١٥

فيه للاستغراق اي فيكون شاملا لجميع افراد الانس وآدم عليه السلام وذريته مؤمنهم
وكافرهم وان كانت نعم الكافر وبالا عليه بالنظر للمآل ايحسبون انما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اي لا يشعرون ان ذلك وبال عليهم
انما نملي لهم ليزدادوا اثما ويدل لهذا قوله بعد فمنهم من وفيه فانه لما ذكر ان
الجنس كله قد اشترك في النعم الدنيوية اشار الى انه بالنسبة للنعم الدينية افترق
فقير وغني ولا يعارض قوله وصوره في الارحام لان الكلام يصرف لما يليق به كقوله
تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ولان ذكر بعض
افراد العام بعده لا يخصصه ونظيره قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك
بعد قوله والمطلقات يتربصن الشامل للرجعيات والبائنات فان ضمير بردهن انما يعود
على الرجعيات فقط والله اعلم واما احتمال ان يكون المراد بالانس خصوص آدم
وتضمين صوره ذريته فيكون نظير قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان الاية فهو بعيد
لا داعي اليه مع ان البدء بالنعم عام لا يختص ببعض دون الافراد فحمله على الخلق وهو
خاص بآدم عليه السلام فوجب ان يكون المراد بالانس في الاية خصوص آدم
وان كان يمكن ان يوجه هذا الاحتمال بان آدم هو مبدأ هذا الجنس فهو اول
من ابتدئ بالنعمة والانس قيل مشتق من الانس لانه يانس بشكله فيكون من انس
وقيل من آنس بمعنى ابصر لانه ظاهر مبصر ولذلك يقال له بشر لظهور بشرته
بخلاف الجن وقيل من النسيان لنسيانه عهد الله ولقد عهدنا الى آدم من قبل
فنسي وقوله بنعمته هي بكسر النون بمعنى المنة وهي اسم لكل خير كالصحة
والعافية والمال ويقابلها النقم ويقابلها الشرور ثم اعلم ان تعقيب جملة
الحمد بهذا التابع شبه البرهان بعد الدعوى لانه ادمج في جملة الحمد ان كل وصف
جميل مختص بالله او مستحق له اتى بما يدل على ذلك وانه تعالى هو الخالق
ومعلوم ان الخلق والايجاد يتوقف على اتصاف الموجد بصفات الكمال وبهذا
تعلم ان تعقيب جملة الحمد في سورة الفاتحة بالوصف برب العالمين وما بعده في
غاية الحسن والايجاز كما قرر في شرح صغرى الصغرى وقوله وصوره في

على

بشر

شو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)